المحاضرة الرابعة:

إرهاصات التجديد في النقد الحديث

1-التعريف بالناقد حمود رمضان:

يدعى بحمود رمضان بن سليمان بن بلقاسم إلا إنّ شهرته في الساحة الأدبية والنقدية عُرف بـ: حمود رمضان، ولد في مدينة غرداية بمنطقة ميزاب وتقع في المنطقة الجنوبية من الجزائر في العاشر من رمضان لعام 1324هـ، الموافق عام 1906م، نشأ وترب في منطقة ميزاب، واتسمت البيئة التي تكون فيها بالمحافظة وتمسكهم الكبير بدينهم، هذا ما أدى بحمود رمضان لتربيته من قبل أسرته تربية سوية متأثرا بذلك بشخصية والده وجده، حيث تربى على الاستقامة الدينية، والتمسك بالأخلاق الفاضلة، وحب الوطن.

عُرف على الناقد حمود رمضان أنّه كان شُعلة من الذكاء منذ نعومة أظافره، وكان شغوفا بالعلم والمعرفة، ومهد له كل من والته ووالده وعبدوا له الطريق للأخذ بالعلوم من خلال توفير الوسائل المساهمة في تكونه على الرغم من الظروف القاسية التي كان يعيشها الشعب الجزائري إثر المستعمر الفرنسي آن ذاك، التي مارسها على الأُسر الجزائرية، إلاّ أنّ والد حمود رمضان تطلب الأمر منه مغادرة منطقة (بني ميزاب) وينتقل بابنه إلى مدينة غليزان ليدخل هناك إلى مدرسة فرنسية، وقد تميّز حمود رمضان عن أقرانه بذكائه، كما قام والده بتسجيله بمرسة لتعليم القرآن الكريم.

كما نجد حمود رمضان في مساره التعليمي لم يتوقف في الجزائر، وإنّما قام بالانتقال إلى تونس بُغية التوسع في العلم والمعرفة، ليلتحق بجامع الزيتونة سنة 1917م، ليلعب هذا الالتحاق نقطة تحول في مساره التعليمي وفي تكوينه وتأسيسه أدبيا، وفكريا، وثقافيا، وسياسيا من خلال تواجده في الأندية الأدبية التي ساهمت في تنمية موهبته الشعرية، كما نألفه انخرط ضمن معاهد أخرى كمدرسة السلام، المدرسة الخلدونية، المدرسة القرآنية الأهلية.

مما تركه الناقد حمود رمضان من مؤلفات نذكر (بذور الحياة) التي ضمّ فيها القصائد والمقالات والخواطر، وقصة (الفتى) التي كانت تندرج ضمن البعد الإصلاحي، توفيّ في مسقط رأسه عام 1929م.

2-القضايا النقدية التي تعرض لها الناقد حمود رمضان:

من المقولات النقدية التي تطرق لها الناقد حمود رمضان نتيجة دعوته إلى التجديد على مستوى النص الشعري شكلا ومضمونا ، وعلى الرؤية النقدية الموجهة للأعمال الأدبية بوجه خاص نذكر ما يلي:

-انطلق حمود رمضان من قضية ذات أهمية في النقد الأدبي العربي وهي **مفهوم الشعر** الذي عُرف منذ القدم على أنّ (الشعر ديوان العرب)، ومن هذه المقولة يعرض للمفاهيم التي تم وضعها كمقابل للشعر لدى النقاد العرب القدامى أمثال قدامة بن جعفر حينما قال حدّه: " قول موزون مقفى يدل على معنى"، وهنا تم ربط الشعر بالوزن والقافية كشرط يعتمده الشاعر حين الكتابة الشعرية، ومأُخذ على هذا المفهوم من قبل الناقد حمود رمضان ذو الرؤية التجديدية أنّه لا يمكن ربط شاعرية الشاعر بالوزن والقافية، وإنّما يمكن ربطها بالمشاعر والأحاسيس ذات التعبير الصادق، ونلحظ بهذا مناهضة حمود رمضان للحركة الإحيائية التي ارتبط بها الشعراء العرب والجزائريين، وتمثّلوا لخصائصها في أشعارهم، وكتبوا على القالب القديم الذي يعتد بالوزن والقافية كركيزة أساسية في بناء شِعرهم؛ أي الاعتماد على البحور العروضية التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي.

-عالج قضية نقدية أخرى تمثلت في **اللّغة الشعرية** حين أدرك حمود رمضان للدور الذي تلعبه اللّغة في كتابة الشعر، فمن خلالها يُرفع الشعر أو يُحط من قيمته، ويرى حمود رمضان أنّ اللّغة لا بُد أن تتماشى مع العصر الذي يعيش فيه الشاعر ويُواكب التطورات والتغيّرات الطارئة عليه، كما أنّه على الشاعر استخدام قاموس لغوي سهل متداول والابتعاد عن الألفاظ الغريبة والصعبة التي يستصعبها القارئ الحديث في فهمها، وهذا ما لاحظه حمود رمضان على شعراء الإحيائيين حينما استخدموا القاموس الشعري العربي القديم، وصارت هذه اللّغة دخيلة على العصر الحديث فأعاب عليهم ذلك بقوله: " يُخاطب الناس في القرن العشرين بلغة امرئ القيس والمهلهل وطرفة بن العبد".

-تعرض حمود رمضان لقضية نقدية قديمة تناولها النقاد العرب القدامى في مؤلفاتهم تمثّلت في: **الصدق الفني**، فمن الكلام المأثور مقولة (أعذب الشِعر أكذبه، وخير الشِعر أصدقه)، ومن هذا فإنّ الشِعر يكون في شكله العام صادقا إذا تم مواءمته للواقع، وكان حمود رمضان موافقا لهذا المنطلق، فيرى أنّ الشِعر هو ما كان معبرا على حقيقة المشاعر والأحاسيس لدى الشاعر وكان مطابقا في هذا المقام للأفكار التي تمثّلها رواد مدرسة الديوان والمدرسة الرومانسية.

-تناول حمود رمضان قضية الصورة الشعرية باعتبار التصوير دعامة أساسية في بناء الشعر لما تُضيفه من أبعاد جمالية على مستواه من خلال تصوير المشاعر والأحاسيس بشكل فني جمالي، ومن خلال التمحيص في آرائه النقدية حول هذه القضية لم يُول لها أهمية كافية من الدراسة.

-حاول حمود رمضان من خلال تناوله لقضية **الوزن والقافية** توضيح أمرا مهما تمثّل في أنّ الشِعر لا يخضع للوزن والقافية وليس عبدا له، وإنّما لكل من الشِعر والوزن والقافية وظيفة خاصة به، وهذا ردّ على شعراء الحركة الإحيائية الذين كتبوا على منوال الشكل العمودي للقصيدة وعلى الأوزان العروضية الخليليّة، منطلقا من رؤية تجديدية على أنّ الشِعر تربطه موسيقى داخلية مرتبطة بالمشاعر والأحاسيس التي يُعبر الشاعر عن واقعه وعن قضاياه.

نخلص مما سبق عرضه من القضايا النقدية التي تمثّلها الناقد حمود رمضان أنّه كان من رواد الحركة التجديدية على المستوى الأدبي والنقدي، وأضاف رؤية جديدة في النقد الجزائري الحديث من خلال تأثره بالآراء النقدية التي نادى بها كل من محمود عباس العقاد، وميخائيل نعيمة، وجبران خليل جبران في النقد الأدبي العربي بصفة عامة، فمن خلال استثماره وتأثره بهذه الأفكار التجديدية المناهضة للوجه التقليدي الذي نادت به الحركة الإحيائية داعما الموقف الذي يدعو لمواكبة التجديد والتحرر من عبودية التقليد المسيطرة على إصداراتهم الشِعرية والنقدية.

الكتب المعتمدة:

-محمد ناصر، رمضان حمود حياته وأثره .

-قدامة بن جعفر، نقد الشعر.